تحديد موطن مملكة سبأ
في القرآن الكريم والمصادر الأخرى

د. عبدالله كرامة التميمي
أستاذ مساعد، قسم التاريخ
كلية الآداب، المكلا، جامعة حضرموت
المكلا، جمهورية اليمن

الخلاصة

بسم الله الرحمن الرحيم: ((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)) صدق الله العظيم [سورة النمل آية ٢٢].

يتناول هذا البحث محاولة للإجابة عن تساؤل ما زال إلى يومنا هذا بحاجة إلى إجابة مقنعة، وهو: هل ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم والتوراة من سكان شمال شبه الجزيرة العربية أومن جنوبها؟ وبمعنى آخر هل قوم سبأ وملكتهم من أقوام شمال شبه الجزيرة العربية أومن جنوبها؟، ويستعرض الباحث في هذا البحث المعلومات التي وردت في المصادر عن قوم سبأ ومقارنتها بالمخلفات الأثرية لهؤلاء القوم، وبالذات بين ما جاء في القرآن الكريم والنقوش والآثار بهدف معرفة موطنهم في الفترة التي شهدت زيارة ملكة سبأ للملك سليمان عليه السلام في فلسطين. وتم تقسيم البحث إلى خمسة محاور: ١ (ملكة سبأ في التوراة. ٢) ملكة سبأ وقومها في القرآن الكريم. ٣) تطابق الأدلة القرآنية مع الأدلة النقشية والأثرية حول الموطن الجنوبي لقوم سبأ. ٤) ملكة سبأ في كتب الأخبار. ٥) ملكة سبأ في كتابات المستشرقين والمؤرخين العرب. وقد خلص البحث إلى أن ملكة سبأ الوارد ذكرها في القرآن الكريم والتوراة قد حكمت في جنوب الجزيرة العربية وانطلقت من هناك إلى فلسطين لمقابلة الملك سليمان عليه السلام وليس كما يعتقد البعض بأنها وقومها كانوا يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية بجوار مملكة سليمان عليه السلام.

ABSTRACT

This research discusses the effort of finding the answer of a query which still up until to day seeking for an answer. That question is about: Was Queen Sheba that mentioned in the Holy Koran and Torah an inhabitant of the north Arabian Peninsula or the south of it? In other words were Queen Sheba and her people from the inhabitants of the north Arabian Peninsula or from the south? The researcher discusses the information that stated in the sources about Sheba people and compares it with the archeological remains for those people، especially what came in the Holy Koran and the carvings and the ruins for the purpose of knowing their own homeland in the period that witnessed the visit of Queen Sheba to the King Solomon in Palestine. The research has been divided

into six chapters: 1- Queen Sheba in Torah. 2- Queen Sheba and her people in the Holy Koran. 3- The harmony of the Koranic evidences with the archeological carvings concerning the southern homeland of Sheba people. 4- Queen Sheba in the historical books. 5- Queen Sheba in the books of orientalists and the Arabic historians. 6-The epilogue. The research came to a conclusion that Queen Sheba that mentioned in the Holy Koran and in Torah ruled the south of the Arabian Peninsula and went from there to Palestine to meet King Solomon and not as some think that she and her people were living in the north of the Arabian Peninsula next to Solomon's kingdom.

تقديـم:

ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع ما وجدته من انقسـام المستشرقين إلى فريقين حول انتماء ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم والتوراة، فالفريق الأول يرى أنها ملكة شماليـة (من أقوام شمال شبه الجزيرة العربية) والفريق الآخر يرى أنها ملكة جنوبية (أي من أقوام جنوب شبه الجزيرة العربية) وحيث أن هذه الملكة من الصعب الخوض في أمرها بسبب صمت النقوش عن ذكرها، رأيت أن الأمر ممكن ولكن من خلال تناول قومها "السبئيين" وموطنهم إذ يمكن الاستدلال بهم عن موطن هذه الملكة ريثما تسعفنا النقوش أوالآثار بشيء عنها. وقسمت البحث إلى خمسة محاور: المحور الأول بعنوان "ملكة سبأ في التوراة" والمحور الثاني "ملكة سبأ في القرآن الكريم" والمحور الثالث "تطابق الأدلة القرآنية مع الأدلة النقشية حول الموطن الجنوبي لقوم سبأ" والمحور الرابع "ملكة سبأ في كتب الأخبار" والمحور الخامس "ملكة سبأ عند المستشرقين والمؤرخين العرب".

وأتقدم بالشـكر إلى مجلة جامعـة الشارقة وأسرة التحرير لتفضلهم بنشر هذا البحث لتعميم الفائـدة.

والله ولي التوفيق ...

أولاً: ملكة سبأ في التوراة:

إذا أردنا أن نعرف ماذا جاء في التوراة أوالمصادر الأخرى عن ملكة سبأ، فإن الأمر مرتبط ارتباطاً جدلياً بما جاء في هذه المصادر عن قوم سبأ، لهذا فإننا سنورد ما جاء في هذه المصادر عن قوم سبأ وعن ملكتهم، حتى تتضح لنا الصورة تماماً عن هذه الملكة، وأين حكمت في الشمال أم في الجنوب؟ وبدأتُ بالتوراة لأنني أريد أن

أتدرج في ذكر المصادر التي تحدثت عن قوم سبأ وملكتهم، وفقاً للناحية الزمنية لتناول هذه المصادر لموضوع ملكة سبأ.

إن التوراة في حديثها عن قوم سبأ، خلطت بين قوم شبا (بالشين) وقوم سبأ (بالسين)، وكأن الأمر يتعلق بشعبين وليس بشعب واحد، على الرغم من أن الاسمين لا فرق بينهما، فقد ذكر العهد العتيق، (شبأ) و(سبأ)، تارة في الحاميين وتارة أخرى في الساميين، وهنا نجدهم شعباً واحداً.[1] ففي الآيتين السابعة من الإصحاح العاشر من التكوين، والتاسعة من الإصحاح الأول من أخبار الأيام، نجد أن (شبأ) ينسب إلى (كوش بن حام)، أي أنهم من الكوشيين الحاميين، على حين نجد في الآية الثامنة والعشرين من الإصحاح العاشر من التكوين، أنهم من الساميين، وليس الساميون كالحاميين، فالفروق كثيرة بينهما لغوياً وجسمياً. [2] وجعلت التوراة (شبأ) من ولد (يقطان) في موضع، ومن ولد (يقشان) في موضع آخر. [3] و(يقطان) من ولد (عابر)، أما (يقشان) فهو ولد من أولاد (إبراهيم) عليه السلام من زوجه (قطورة).[4]

وأمام هذا الخلط بين الساميين والحاميين، نجد علماء التوراة يحاولون تسويغ ذلك، بأنه يعود لانتشار السبئيين وهجرة قسم منهم إلى السواحل الأفريقية المقابلة، حيث استقروا هناك وأقاموا دولاً وحضارات وبخاصة في الحبشة، ولهذا ميزتهم التوراة عن بقية السبئيين في الموطن الأصلي (العربية الجنوبية)، وذلك بجعلهم من أبناء كوش، وميزت السبئيين المختلطين بقبائل (يقشان) ، بإرجاع نسبهم إلى (يقشان)، ولذلك صار السبئيون ثلاث مجموعات بحسب رواية التوراة، تبعاً لانتشارهم فيما قبل الميلاد. [5] ووصفت التوراة أرض (شبأ) بأنها كانت تصدر (اللبان) [6] ووصفتهم بأنهم أهل تجارة، وتاجروا مع العبرانيين: (تجار شبأ ورعمة هم تجارك بأفخر أنواع الطيب، وبكل حجر كريم، والذهب أقاموا أسواقك، وحران وكنه وعدن تجار شبأ وأشور وكلمد تجارك) فالمقصود هنا سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية [7]، وذكرت عبارة في الإصحاح الأول من سفر أيوب أن لصوصاً سبيئين فتكوا برعاة أيوب عليه السلام، (وقال قائل البقر كانت تحرث، والإتن ترعى بجانبها، فسقط عليها السبئيون وأخذوها وضربوا الغلمان بحد السيف، ونجوت أنا وحدي لأخبرك). بينما في سفر يوئيل الإصحاح الثالث، الآية الثامنة، يوصف السبئيون بأنهم أمة بعيدة يبيعهم العبرانيون أبناء وبنات صور وصيدا.[8]

وخلاصة الأمر أن التوراة ذكرت قوم سبأ في ثلاثة مواضع هي: جنوب شبه الجزيرة العربية، والحبشة، وشمال شبه الجزيرة العربية حوالي معان والعلا، غير أن

الحديث تركز على موطنهم في جنوب شبه الجزيرة العربية، من خلال ربطهم بتجارة اللبان والأحجار الكريمة والذهب، وكلها من السلع التي تاجر بها السبئيون مع سكان شواطئ البحر المتوسط ومن بينهم العبرانيون ولكن ماذا عن ملكة سبأ في التوراة ؟

يقول جواد علي: (إن قصة زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان عليه السلام المدونة في التوراة هي تعبير عن علم العبرانيين بالسبئيين، وعن الصلات التجارية التي كانت بينهم وبين شعب سبأ) [9] ولم تذكر التوراة اسم هذه الملكة ولا اسم موطنها الذي كانت تقيم فيه وكل ماجاء عنها أنها جاءت إلى أورشليم بموكب عظيم جداً وقافلة تحمل طيوباً وذهباً وحجارة كريمة وصفته بأنه كثير جداً [10] وذلك عند زيارتها للنبي سليمان عليه السلام وكانت زيارتها في حدود منتصف القرن العاشر ق.م فالتوراة إذا ذكرت أنها ملكة سبأ، ولكن دون ذكر لاسمها أو إلى أي الأقوام السبئية الثلاثة التي تحدثت عنها تنتمي، وهذا ما جعل العلماء يحتارون في موطن هذه الملكة الذي قدمت منه، هل هو جنوب الجزيرة العربية، أو شمالها أو الحبشة ؟

ثانياً: ملكة سبأ في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم حديث في سورتين عن قوم سبأ وملكتهم، هما سورة النمل الآيات (20_24) وسورة سبأ الآيات (15_16)، ويبدو من النظرة السطحية أن الأمر مفصول في السورتين، بحيث يبدو أن قوم سبأ في سورة النمل وقصة ملكتهم مع سيدنا سليمان عليه السلام وأمر الهدهد، ليسوا المقصودين بقوم سبأ في سورة سبأ، وقصة سد العِرِمِ وأمر الجنتين والبلدة الطيبة. ولكن النظرة العميقة للآيات في السورتين تقودنا إلى وجود رابط قوي بين الحدثين، يجعل قوم سبأ في السورتين شعبا واحداً في موطن واحد.[11] ولكي نربط كلامنا هذا بالدليل العلمي، سوف نتناول آيات القران الكريم بشأن قوم سبأ وملكتهم بشيء من التفصيل والتحليل والتفسير:

جاء في سورة النمل قوله تعالى: ((وتَفَقد الطير فَقَالَ ما لِي لَا أَرى الْهدهد أَم كَان مِن الْغَائِبِين (٢٠) لَأعذبنه عذَابا شَدِيدا أَولَأَذْبحنه أَولَيأْتِيني بِسلْطَانٍ مبِينٍ(٢١) فَمكَثَ غَير بعِيدٍ فَقَالَ أَحطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ وجِئْتُك مِن سبإٍ بِنَبإٍ يقِينٍ(٢٢) إِني وجدت امرأَةً تَملِكُهم وأُوتِيتْ مِن كُل شَيءٍ ولَها عرشٌ عظِيم(٢٣) وجدتها وقَومها يسجدون لِلشمسِ مِن دون اللهِ وزين لَهم الشيطَان أَعمالَهم فَصدهم عن السبِيل فَهم لَا يهتَدون(٢٤))[12] صدق الله العظيم.

ونقف في هذه الآيات أمام الحقائق الآتية:

١) في سورة النمل:

أ- وجود قوم سبأ في الفترة نفسها التي كان يحكم فيها سيدنا سليمان عليه السلام وهي فترة القرن العاشر ق.م. [13]

ب- كانت تملكهم إمرأة بمعنى أنها كانت حاكمة وملكة بدليل لفظ **((تَمْلِكُهُم))**.[14]

ج- كان لهذه الملكة عرش عظيم.[15]

د- كان لهذه الملكة ثراء عظيم بدليل قوله تعالى: **((وأُوتِيَتْ مِن كُل شَيءٍ))**. [16]

هـ - كانت وقومها يسجدون للشمس، بمعنى يعبدون آلهة طبيعية (عبادة الكواكب). [17]

٢) في سورة سبأ قال تعالى:

((لَقَد كان لِسبإٍ فِي مسكَنِهم آيةٌ جنتَان عن يمِينٍ وشِمالٍ كُلُوا مِن رزق ربكُم واشْكُروا له بلْدةٌ طَيبةٌ ورب غَفُور (١٥) فَأعرضوا فَأرسلْنَا علَيهم سيلَ الْعرِمِ وبدلْنَاهم بِجنتَيهم جنتَين ذَواتَى أُكُلٍ خَمطٍ وأَثْلٍ وشَيءٍ من سِدرٍ قَلِيلٍ (١٦))) .[18]

ونقف في هذه الآيات أمام الحقائق الآتية:

أ- وجود قوم سبأ في فترة تاريخية لم يحددها القرآن الكريم.

ب- وجود جنتين عن يمين السد وشماله (العِرِمِ). [19]

ج- كانت لهم بلدة طيبة، وهي حاضرتهم ومسكنهم وهذه البلدة هي مأرب بدليل آثار السد (سد مأرب) والجنتين. [20]

د- وجود العِرِمِ وهوسد مأرب. [21]

ه- حدوث سيل جارف أدى إلى تهدم السد. [22]

و- وجود الخمط والأثل وقليل من شجر السدر في مكان الجنتين. [23]

جاء في تفسير الشوكاني، أن (سبأ اسم لمدينة باليمن تعرف بـ (مأرب) ، بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام [24]. وفسر ابن عاشور (سبأ) على أنه اسم رجل وهو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان. لقّب بسبأ لأنه أول من سبى في غزوه. وغلب اسم سبأ على القبيلة المتناسلة من سبأ المذكور [25]

وبمقارنة ما جاء في السورتين نصل للآتي:

أ- أن قوم سبأ كانوا موجودين، ومن الأقوام السابقة التي ذكرها القران الكريم، وأنهم عاصروا حكم النبي سليمان عليه السلام (فترة القرن العاشر ق.م).

ب- أن هؤلاء القوم (سبأ) هم أنفسهم المقصودون في السورتين بدليل الآتي:

* كانوا يعبدون الشمس من دون الله (سورة النمل) فعاقبهم الله بسيل العِرِمِ (سورة سبأ).
* كانت تمِلكُهم إمرأة ولها عرش عظيم (سورة النمل)، وكانت لهم بلدة طيبة (سورة سبأ).
* هذه الملكة أوتيت من كل شئ، دليل الثراء(سورة النمل)، وكانت لهم جنتان (سورة سبأ).

ثالثاً: تطابق الأدلة القرآنية مع الأدلة النقشية حول الموطن الجنوبي لقوم سبأ:

إن الأدلة القرآنية – على الرغم من عموميتها كعادة القرآن الكريم في عدم ذكر التفاصيل التاريخية والمكانية، إذ أن الهدف هوالعظة ومن ثم التركيز على الأفعال غير الحميدة للقوم الذين يأتي على ذكرهم، دون الخوض في التفاصيل - تشير إلى أن قوم سبأ هؤلاء هم أنفسهم قوم سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية بدليل الآتي:

الدليل الأول: (سيل العِرِمِ) جاء في تفسير الشوكاني: العرم اسم للسد والمعنى (سيل السد العرم) [26]. وفسر ابن عاشور العرم بأنه ما بني ليمسك الماء وهو لغة يمنية وحبشية، والعرم المسناة بلغة أهل الحجاز، وهذا السد قائم بين جبلين يعرف كلاهما بالبلق فهما البلق الأيمن والبلق الأيسر[27] فذكر القرآن الكريم اسم السد وهو(العِرِمِ) وآثار السد باقية إلى يومنا هذا في (مأرب) بجنوب شبه الجزيرة العربية، وعثِر على اسمه مسجلاً على جدران السد بالخط المسند، وهوالاسم نفسه الذي ذكره القرآن الكريم. جاء في النقش الموسوم بـ C.I.H54، من عهد الملك السبئي (شرحب أيل يعفر) (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهموطودم وتهمت) بن (أب كرب أسعد) (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابهموطودم وتهمت) مايأتي: (عذبو_ عرمن _ بن _ قرب _ رحبم) بمعنى (أصلحوا العِرِمِ القريب من رحاب) وجاء في النقش الموسوم بـ C.I.H541، من عهد أبرهة مايأتي (وكوصحهمو– صرخم – بن – سبأ – كثبر- عرمن)، بمعنى (عندما وصلهم الصارخ أوالنذير من سبأ يحمل نبأ خراب العِرِمِ).[28]

والعِرِمِ في اللغة تعني السِكْر والمسناة التي تسد فيها المياه وتقطع. فجاء ذكره في القرآن الكريم تحت لفظ (العِرِمِ) وفي النقوش تحت لفظ (عرمن/ عرمان) واللفظان متطابقان تماماً لأن الألف والنون في آخر الاسم في اللغة العربية الجنوبية يحلان محل أل التعريف في أول الاسم في لغتنا العربية اليوم [29]. وهنا تطابق اسم السد (العِرِمِ) في القرآن الكريم مع اسمه في النقوش السبئية وهو أمر لايدع مجالاً للشك في أن قوم سبأ المذكورين في القرآن الكريم، هم أنفسهم قوم سبأ المذكورون في نقوش جنوب شبه الجزيرة العربية. إن إشارة القرآن الكريم لاسم السد (العرم) قبل ما يزيد عن عشرة قرون من اكتشاف العلماء لاسم العرم المدون باللغة الحميرية على جدار السد يعد إعجازاً علمياً يضاف إلى ملف الإعجاز العلمي للقرآن الكريم. وذكر القرآن الكريم أن سبب انكسار السد هوتعرضه لسيل جارف لم يستطع تحمله، وكذلك ذكرت النقوش السبئية أن سد مأرب (العِرِمِ) قد تعرض للخراب ثلاث مرات: الأولى في عهد الملك (ثأران يهنعم بن ذمار علي يهبر) في حدود منتصف القرن 4 م، والثانية في عهد الملك (شرحب أيل يعفر بن أب كرب أسعد) في حدود منتصف القرن 5 م، والثالثة في عهد الملك أبرهه، في أواخر النصف الأول من القرن 6 م. وربط القرآن الكريم بين (العِرِمِ) وقوم سبأ في الآيات المذكورة، الأمر الذي يشير دون أدنى شك إلى السبئيين في مأرب بجنوب شبه الجزيرة العربية حيث يقبع سد مأرب.

الدليل الثاني (الجنتان):

لقد تحدث القرآن الكريم عن وجود جنتين لهؤلاء القوم (سبأ) عن يمين مسكنهم وعن شماله وتحولت بعد خراب السد إلى جنتين قاحلة)) ذواتى أكل خمطٍ وأثل وشيء من سدر قليل)) .[30] قال الشوكاني: "الجنتان كانتا عن يمين واديهم وشماله قد أحاطت به من جهتيه، وكانت مساكنهم في الوادي والآية هي الجنتان" [31]. وجاء عند ابن عاشور: "جنتان تشبية بليغ، أي في مساكنهم شبيه جنتين عن يمين السائر ويساره" وأضاف: " يجوز أن يكون المراد مدينتهم وهي مأرب محفوفة على يمينها وشمالها بغابات من الجنات " [32]. وقد لاحظ الهمداني آثار الجنتين القاحلة عند زيارته لمأرب في القرن الرابع الهجري، وكتب في الإكليل يصف ما شاهده فقال: (في أحد الجنتين عريق أراك. وفي أصله جذع نخلة أسود وقد كبست باقيه السواقي).[33]

وفي بيت شعر له أيضاً يقول:

وجنتا مأرب من بعـد ذا مثـل   والعرش فيها وسد وسط واديها[34]

ومشاهدات الهمداني هذه ذات دلالة عميقة، إذ وافق ما شاهده في مأرب عن يمين السد وعن شماله ما جاء به القرآن الكريم من وصف لما لحق بالجنتين بعد خراب سد مأرب. وهنا نقف على شاهدين: قرآني وأثري، يربطان قوم سبأ المذكورين في القرآن، بجنوب شبه الجزيرة العربية لا بشمالها، فالشاهد القرآني يتمثل في الحديث عن قوم سبأ والبلدة الطيبة والسد والجنتين وما لحق بالبلدة من خراب من جراء انهيار السد، وكذلك النقوش والآثار دلات على وجود البلدة الطيبة مأرب، والسد، والجنتين وآثار الخراب الذي لحق بالسد.

الدليل الثالث: (العرش العظيم والثروة)

قال الله تعالى في سورة النمل **((**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣)**))** .[35]

جاء عند الشوكاني أنها بلقيس بنت شرحبيل كانت تملك أهل سبأ وذكرها القرطبي بأنها بلقيس بنت شراحيل [36] وجاء في التفاسير عن العرش بأنه سرير عظيم من ذهب قوائمه من جوهر ولؤلؤ مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر عليه سبعة مغاليق[37].

ونستدل من هذه الآية على أن قوم سبأ كانت تملكهم إمرأة، أي أنها الحاكمة في سبأ، وكانت تتلقب بلقب (ملكة)، بدليل لفظ (تملكهم) وأنها تتمتع بثروة عظيمة، بدليل عبارة (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ) وكذلك لها عرش عظيم، وسياق المعنى في الآيات يدل على انبهار الهدهد بما رأى ثم قول النبي سليمان عليه السلام له في قوله تعالى: **((**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)**))** [38] فهنا أيضاً إشارة إلى عدم تصديق النبي سليمان عليه السلام لما جاء به الهدهد من هذه الأخبار عن قوم سبأ وملكتهم، لأنه ربما كان يعتقد أنه لا يوجد في جزيرة العرب من يملك هذه الثروة أويتمتع بهالة الحكم كما يتمتع هو.

وينطبق وصف القرآن الكريم لقوم سبأ وعرش ملكتهم وثروتهم على السبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، ولا نجد مثل ذلك الوصف ينطبق على أي الأقوام العربية في شمال شبه الجزيرة العربية ممن جاء الحديث عنهم في التوراة، بأنهم سبئيون يعيشون بالقرب من مملكة النبي سليمان عليه السلام. [39] ودليلنا هو وجود آثار عرش سبئي في العاصمة السبئية القديمة (مأرب)، بجنوب شبه الجزيرة العربية،

ويعرف اليوم بين الناس بـ (عرش بلقيس)، وهوالاسم الذي شاع في كتب التاريخ لتلك الحاكمة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم (ملكة سبأ). وعن آثار هذا العرش في مأرب كتب الأثريون والمؤرخون مشاهداتهم التي نستشهد بها، ونبدأ بالهمداني الذي كتب في كتابه الإكليل قائلاً:

وعرشها شاهق من فوق أعمـدة   من الرخـام سـواقيها تحاذيهـا
ولن يحيط بإحداهن مـا قـدرت   حضناً بليغاً طويل الباع يحويهـا
وفوقها مثلها والعرش منتـصب   من فوقها وخرير الريح يدويها[40]

ثم يقول متابعاً: (وأعمدة العرش السفلى قيام إلى اليوم، لواجتمع جيل على أن يصرعوا واحدة منها لم يقدروا، لأن كل عمود منها له ثقوب في الصفا، ثم ألقم أسفله، وصب بينهما القطر. ويسمى قصر بلقيس سلحين). [41] ثم يقول:

وقـصر سـلحين قـد عفـاه   ريـب الزمـان الـذي يريـب
تعـوى الثعالـب فـي قراهـا   مـا فـي مـساكنها غريـب[42]

ونقل عن الشاعر علقمة قوله:

أوما ترين وكـل شـيء للـبلا   سلحين خاوية كأن لـم تعمـر[43]

أما الأثري الدكتور أحمد فخري الذي زار مأرب في خمسينيات القرن الماضي فيقول: ((رأيت الكسرتين وكسرات أخرى أصغر حجماً ملقاة في فناء المبنى الجديد. وذكر لي أنها وجدت في المبنى الأثري المعروف باسم (دار البيضاء)، حيث وجدت معظم الآثار المهمة التي رأيتها في مأرب. وتتخذ رجلُ العرش شكل رجل الوعل، ويبلغ طولها 36سم، وأقصى عرض 16سم. وكما يظهر من الرسم الجانبي فإنها جزء من أثر كبير أغلب الظن من عرش. والكسرة الأخرى تنتمي لنفس الأثر ويبلغ ارتفاعها 20سم، وعرضها 30سم، وهي جزء من أحد جوانب العرش، مثل النتوءات والحوافر التي كانت مغطاة برقائق من الذهب، وإنها تركت لهذا الغرض دون صقل)). [44]

أما الأستاذ زيد بن علي عنان، مندوب الإمام يحيى الذي رافق البعثة الأمريكية بقيادة فيليبس في أثناء تنقيباتها في مأرب عام 1951م فيقول: ((أن مدينة مأرب الحديثة تم بناؤها فوق أنقاض قصر سلحين، وكانت أنقاض هذا القصر في شكل أكمة كبيرة مرتفعة وممتدة

إلى مسافة كبيرة، وذاك يدل على عظمة القصر. وفي الجانب الغربي من أسفل الأكمة أسطوانات مرمر (أعمدة) ظاهرة للعيان، ويقع القصر في شرق مدينة مأرب القديمة، وإن التنقيب عنه يحتاج إلى إزالة مدينة مأرب الحالية جميعها، وفي معظم بيوت المدينة الحديثة عدة أحجار عليها كتابات بالخط المسند)).[45] ويرجح الدكتور يوسف محمد عبدالله عالم الآثار اليمني أن التل الذي تقع عليه مأرب الحديثة اليوم، هومكان قصر سلحين الذي ذكره الهمداني قبل ألف عام، وتردد اسم القصر في النقوش.[46]

أما عن ثروة سبأ وملكتهم فهو أمر لا نجد صعوبة في ربطه بالسبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، والشواهد على ذلك كثيرة، فقد تحدث المؤرخون اليونان والرومان عن ثروة السبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، وجاء وصفهم لبلاد السبئيين كما يأتي: يقول لينكولوس رودوكنا كيس في بحثه عن الحياة العامة للدول العربية الجنوبية: ((ظهرت جنوب المدينتين المقدستين مكة والمدينة قبل ظهور محمد مؤسس الدين العالمي دول وثنية قوية كانت أنظمتها الاقتصادية لم تقتصر على جنوب الجزيرة العربية بل امتدت خارجها، واتصلت بالتجارة العالمية، وأثرت فيها زمناً بعيداً، فبلاد العرب الجنوبية كانت بلاد تصدير وتجارة مرور للبخور والعطور، كما كانت مركزاً هاماً للاتصال التجاري بين المحيط الهندي والبلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط)).[47] وكانت سبأ إحدى الدول الأربع التي اشتهرت قديماً في جنوب شبه الجزيرة العربية، بالإضافة إلى معين وقتبان وحضرموت، وكان البخور يمثل أهم سلعة في العالم القديم، لأهميته بالنسبة للديانات الوثنية، ناهيك عن استخداماته الأخرى. وكان طريق البخور يمتد من ظفار إلى شبوة عاصمة حضرموت، مروراً بقتبان، ثم مأرب العاصمة السبئية ثم إلى معين ومنها شمالاً إلى بلاد الشام ومصر. وكان السبئيون يحصلون على نصيبهم من هذه الثروة إما عن طريق الضرائب لقاء مرور هذه السلعة بأراضيهم، أو مصادر التجارة الأخرى عبر إعادة تصدير السلع القادمة من الهند وشرق أفريقيا، ناهيك عن عائدات الزراعة بفضل المنشأة المائية العظمى، المتمثلة في (سد مأرب)، وهنا يقول كلاوس شيبمان: (إن الزراعة كانت تشكل العمود الثالث للاقتصاد، إذ يمكن وصف حضارة صيهد - أي الممالك القائمة على أطراف رمله السبعتين - بأنها حضارة زراعية بالدرجة الأولى، ويقوم بالزراعة فلاحون مستقرون).[48]

وفي كتاب دليل البحر الأحمر الذي يعود تاريخه إلى منتصف القرن الأول الميلادي، حديث عن الإزدهار التجاري للموانئ في جنوب شبه الجزيرة العربية، فقد جاء في الفقرتين ٢١، و٢٤ ما يأتي: (يقع على الشاطئ مكان يسمى موزا أي (مخا)

وهي مدينة (سوق) بحسب القانون، وتبعد عن برينكي نحو اثني عشر ألف ستادي للمبحرين في اتجاه الجنوب، والمكان مزدحم بأصحاب السفن من العرب والملاحين، ويعمل الناس كثيراً في أمور التجارة، إذ أنهم يتاجرون مع الساحل البعيد ومع باريغازا -برواخ في ساحل الهند الغربي- ويبعثون بسفنهم الخاصة بهم إلى هناك) [49].

الدليل الرابع: (نظام الحكم)

أشار القرآن الكريم في سياق الحديث عن قصة النبي سليمان عليه السلام وملكة سبأ، إلى نظام الحكم السبئي وفي قمته تلك المرأة (ملكة سبأ) وإلى جانبها مجلس للشورى (الملأ)، ومن سياق اللفظ القرآني نستدل بأن نظام الحكم في سبأ كان ملكياً، بدليل لفظ (تملكهم)، قال تعالى على لسان الهدهد: (إني وجدت امرأةً تملكهم) [50] أي أنها كانت ملكة عليهم ودلت الآية الكريمة في قوله تعالى على لسان هذه المرأة: **((**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤)**))** [51].

جاء في التفسير أن الملأ هم أشراف القوم وعبر عن المشورة بالفتيا[52]. وإن هؤلاء الملأ بمنزلة مجلس شورى يعاون الملوك في اتخاذ القرارات الحاسمة، والأمر هنا يتعلق بالعلاقة مع الملك سليمان عليه السلام. والدليل القرآني قوي هنا فيما يتعلق بعودتها للملأ لاستشارتهم في الأمر في قوله: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) أي حتى توافقون، أو ترشدونني لما يمكن اتخاذه في هذا الأمر الجلل، وهودعوة النبي سليمان عليه السلام لهم بالإيمان بالله وترك عبادة الكواكب والدخول في طاعته ومثل هذا النظام كان سائداً في الدولة السبئية بجنوب شبه الجزيرة العربية، الأمر الذي يرجح إلى جانب الأدلة السابقة، أن قوم سبأ المذكورين في القرآن الكريم وملكتهم التي زارت سليمان عليه السلام، إنما هم شعب سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهم المقصودون، وليس كما يظن البعض بأنهم من شعوب شمال شبه الجزيرة العربية، ممن هم بجوار مملكة سليمان عليه السلام.

وقد تحدثت النقوش عن نظام الحكم في سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية، بصفتيه اللتين جاء ذكرهما في القرآن الكريم وهما وجود حاكم على رأس النظام -هنا ملكة- ومجلس للشورى (مسودن في النقوش) بمعنى (الملأ) وتدرجت أهمية هذا المجلس، حتى أصبح من صلاحيته إصدار القوانين، ومراقبة تطبيقها، وهوالذي يتخذ

قرار الحرب ويفوض الحاكم في قيادتها[53] ومثل هذه المجالس لم تقتصر على سبأ فقط بل دلت النقوش على معرفة شعوب جنوبية أخرى لمثل هذه المجالس، التي تمثل الشعوب أو القبائل التي يحكمها هذا الملك أو ذاك في بلاد العرب الجنوبية، ومنها المجلس القتباني، وهومجلس قبلي إلى جانب الملك.[54] ولكن يجب ألّا يغيب عن بالنا أن مثل هذه المجالس كانت بمنزلة مجالس استشارية للملوك، والملوك أعضاء فيها، ويصدر القرار بعد التشاور داخل هذا المجلس، ثم يتم صدور القرار أوالقانون، ومن حق المجلس إصدار القوانين باسم الملك.[55]

الدليل الخامس:(عبادة الشمس)

ذكر القران الكريم أن قوم سبأ كانوا يعبدون الشمس، قال تعالى على لسان الهدهد: **((**وجدتها وقَومها يسجدون ِللشمسِ مِن دون اللهِ وزين لَهم الشيطَان َأعمالَهم فَصدهم عن السبِيل فَهم لَا يهتَدون**))** [56] وهذا الدليل ينطبق أيضاً على السبئيين في جنوب شبه الجزيرة العربية، إذ كانوا يعبدون الشمس، إلى جانب كواكب أخرى، كالقمر ونجم الزهرة. لقد تميزت عبادة سكان جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام بأنها عبادة فلكية، عبدوا فيها ثالوثاً فلكياً مكوناً من آلهة ثلاثة، هي: (القمر والشمس ونجم الزهرة). فعبادة الشمس إذاً كانت عبادة معروفة عند سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، واشتركت جميع شعوب المنطقة في هذه العبادة، من بينهم السبئيون. وعثر على معابد لهذه الآلهة، مازالت آثارها ماثلة للعيان حتى يومنا هذا، وهي أحد أبرز معالم الحضارة اليمنية قبل الإسلام، تقف شاهداً ليس على المعتقدات الدينية فحسب، بل شاهد على تطور الكثير من المظاهر الحضارية كالفن المعماري، وفن النحت، والكتابة، ومعظم النقوش اليمنية عثر عليها في أنقاض هذه المعابد، إذ كانت مكانا آمنا لحفظ الوثائق العامة، فهي في محل المكتبات الوطنية اليوم لقداستها الدينية، ناهيك عن أن معظم تلك النقوش كانت عبارة عن نذور وقرابين للآلهة، أو أنها كتبت لطلب مساندة الآلهة وعونها.

والاسم الذي يطلقه السبئيون وغيرهم من شعوب جنوب شبه الجزيرة العربية على آلهة الشمس، هو(شمس) وكانت لديهم مؤنثة على عكس بلاد الرافدين فكانت عندهم إلهاً مذكراً (شمش) ولهذا تسبق ذكرها في النقوش اليمنية أداة التأنيث (ذات)، فيقال (ذات حميم) و(ذات بعدان) إلخ. [57] وفي النقش (إ14) جاءت بصيغة (شمس الملك تنوف)، (وبشمس ملكن تنف)، في عهد الملك السبئي (نشأ كرب يهأ من بن ذمار علي ذريح). [58]

واتخذ السبئيون الحصان رمزاً حيوانياً لآلهة الشمس، بينما كان القرص أو الدائرة رمزها الفلكي، وهو تصوير طبيعي للشمس وهي في كبد السماء ويؤكد الهمداني من

خلال مشاهداته عبادة السبئيين للشمس، فقد كتب أنه شاهد على بقايا آثار أحد القصور السبئية ببلاد همدان بالقرب من باب ذلك القصر حائطا فيه بلاطة فيها صورة الشمس على شكل قرص إلى جانبها صورة الهلال. [59].

رابعاً: ملكة سبأ في كتب الأخبار:

اعتمد الإخباريون العرب على قصة ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم، فأخذوا ينسجون قصصاً عن شخصيتها ونسبها وفترة حكمها وعلاقتها بالملك سليمان عليه السلام. وجاء ذكرها عند ابن دريد باسم (يلقمة) وقال إن هذا الاسم من (اليلمق) واليلمق القباء المحشو، ورجح أنه اسم فارسي معرب[60] وجاء اسمها عند نشوان الحميري (بلقيس) ابنة الهدهاد بن شرح بن شرحبيل بن ذي سحر من المثامنة من ملوك حمير[61]. وذكر شعراً قال إن أسعد تبع قائله جاء فيه:

ولـدتني مـن الملـوك ملـوك	كـل قيـل متـوج صـنديد
ونـساء متوجـات كبلقـيس	وشمس ومـن لمـيس جـدودي
ملكـتهم تـسعين عامـاً	بـأولى قـوة وبـأس شـديد[62]

ويصف الحميري رحلتها إلى النبي سليمان عليه السلام فيقول: (ذهبت إلى سليمان في ألف فارس، ثم جمعت مقاول حمير وأبناء ملوكها، ثم قالت: يا معاشر حمير، إني خارجة إلى سليمان فما ترون؟ قالوا الأمر إليك، فخرجت فيمن معها، وتركت باقي أجنادها بغمدان ومأرب، واتجهت نحو تدمر ببلاد الشام مدينة سليمان عليه السلام. [63]

وذكرها الهمداني فقال: إنها (بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل) قبرها بمأرب [64] وذكرها ابن خلدون باسم (بلقيس بنت الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذي الأذعار وهوذوالصرح)[65] ويرى أغلب اللغويين اليوم أن اسماء (يلقمة ويلمقة وماقدة وبلقيس) قد تكون اسماء محرفة عن اسم (المقه) المعبود الأكبر لدولة سبأ، وذلك مع وجود احتمالات أخرى لتفسير بعض تلك الاسماء. وهناك أخبار تفصيلية ذكرها الإخباريون العرب حول اسم هذه الملكة وتفسيره. ونلاحظ أن الإخباريين العرب اعتمدوا كلياً على ما جاء في القرآن الكريم من ذكر ملكة سبأ وزيارتها للملك سليمان عليه السلام، وأخذوا في نسج قصص وأخبار لا أصل لها ولا سند نستطيع الوثوق به ونعتمد عليه، بدءاً من اسمها ونسبها، وانتهاء بزواجها من سليمان عليه السلام. وحتى الآن لم يتم

العثور على نقش أو أثر يدل على أن امرأة حكمت اليمن فيما قبل الإسلام، ناهيك عن اسمها، ولكننا سنكون منصفين للرواة العرب، ومن نقل عنهم من مؤرخي العرب، ونقول من الجائز أن في ما ذكروه من أخبارها صحيح، ولكننا سننتظر حتى يكتمل البحث عن آثار سبأ ونقوشها، حينها يستطيع الباحث أن يجزم برأيه فيما قاله الرواة والمؤرخون العرب، عن ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم.

خامساً: ملكة سبأ وآراء المستشرقين والمؤرخين العرب:

اعتمد بعض المستشرقين ومن والاهم من المؤرخين العرب على النصوص السومرية والآشورية والتوراة في التفريق بين قوم سبأ وملكتهم التي زارت سليمان عليه السلام وقوم سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية، ويقول جواد علي إن كلمة SA-BA-A- A = Sabu الواردة في نص سومري يعود إلى Aradnannar (باتيسى) (لجش) (تلو) معاصر آخر ملوك (أور) أي من رجال النصف الثاني من الألف الثالث ق.م، تعني أرض سبأ، وينقل عن هومل رأيه بأن كلمة Sabum = Sa-bu-um التي وردت عن ملوك (أور) في حوالي سنة 2500 ق.م، إنما تعني Seba الواردة في العهد العتيق، ثم يقول (إذا صح أن Saba وSabum سبأ والسبئيين، صارت هذه النصوص السومرية أقدم نصوص تأريخية تصل إلينا وفيها ذكر (سبأ)، ويكون السبئيون أول شعب عربي جنوبي يصل خبره إلينا، ونكون بذلك قد ارتقينا بسلالم تاريخهم إلى الألف الثالثة قبل الميلاد).[66]

وينقل جواد علي عن (مونتغمري) قوله إن السبئيين المذكورين في النصوص السومرية كانوا من سكان (العربية الصحراوية)، أي البادية، وهذه البادية هي مواطنهم الأصلية الأولى، ومنها ارتحلوا إلى اليمن. أما متى ارتحلوا عنها فليس لدي علم بذلك[67] بينما يرى هومل أنهم ارتحلوا في القرن الثامن قبل الميلاد، حيث استقروا في منطقة (صرواح) و(مأرب) وفي الأماكن السبئية الأخرى، وكانوا يقيمون في المواضع التي عرفت بـ (أريبي) (عريبي) (أريبو) في الكتابات الآشورية، وبـ (يارب) Jarb وJareb في التوراة ومن (يارب) جاء اسم (مارب) عاصمة (سبأ) ويؤيد رأيه بما جاء في النقش GL 1155 عن تعرض السبئيين لقافلة معينية في موضع يقع مابين (معان) و(رجمت) الواقع على مقربة من (نجران)، وعنده أن هذا النص يشير إلى أن السبئيين كانوا يقيمون في أيام ازدهار حكومة معين في جهة شمالية، ثم انتقلوا إلى اليمن ويحمل هذا الرأي أيضاً المستشرق (أوليري)[68] ويؤيد هذا الرأي أيضاً كل من (شرادر) و (كيبرت) و(هارتمان) و(دلتش)، فهؤلاء جميعهم يرون أن السبئيين عاشوا أصلاً في شمال شبه الجزيرة العربية قرب منطقة الجوف الشمالي، واستمروا

فيها على البداوة زمناً طويلاً، ثم دفعتهم دوافع معينة إلى الاتجاه نحوجنوب شبه الجزيرة العربية قبل بداية القرن الثامن قبل الميلاد بقليل، حيث استقروا هناك [69].

ويعلل هؤلاء رأيهم، بأنه من المستبعد أن تسافر حاكمة سبأ بحاشيتها من أقصى جنوب شبه الجزيرة العربية إلى أورشليم، كما أنه لا يوجد نقش عربي جنوبي يتحدث عن امرأة حكمت سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية، بل لا دليل على حكم امرأة لممالك الجنوب عموماً، بينما ثبت بالأدلة النقشية وجود ملكات عربيات حكمن أقواماً في شمال شبه الجزيرة العربية [70]. كذلك يؤيد هؤلاء رأيهم بما جاء في النقوش الأشورية من ذكر لملكين سبئيين (أتا أمر) و(كرب ايلو) في النقوش الآشورية، بأنهما قدما هدايا لملوك آشور، من الأموال والأحجار الكريمة والبخور في فترة تعود إلى القرن الثامن ق.م، وأنهم بذلك خضعوا كغيرهم من أقوام شمال شبه الجزيرة العربية للسيطرة الآشورية، وأنهما كانا يقيمان قريباً من الآشوريين وليسوا في جنوب الجزيرة العربية لبعدها عن موطن الآشوريين. [71] أما أصحاب النظرية الثانية فيتبناها كل من مولر وجلاسر وفنكلر ومايز وموسل، ويرون أن السبئيين عاشوا منذ بداية أمرهم في الجنوب العربي، ولكن جالية منهم اتجهت خلال القرن الثامن ق.م أوقبله بقليل إلى الشمال، وأقامت قرب واحة تيماء ومنطقة الجوف الشمالي، لترعى المصالح التجارية لقومها، في شمال شبه الجزيرة العربية، وعلى طرق القوافل المتجهة منها إلى الهلال الخصيب، وهذه الجالية هي التي قدمت الهدايا للملوك الآشوريين نيابة عن ملوك دولتهم في جنوب بلاد العرب.[72] وإذا ناقشنا هذه الأدلة، نجد أنفسنا أمام قرائن تضعفها، فمثلاً مسألة استبعاد سفر حاكمة سبأ إلى (أورشليم)، نجد العكس، فالأمر ليس صعباً على سكان جنوب شبه الجزيرة العربية، لأن قوافلهم البرية تجوب منطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، من خلال شبكة الطرق البرية الممتدة من جنوبها حتى شمالها، ومن مغربها حتى مشرقها، مستخدمين الإبل في ترحالهم، الأمر الذي يضعف هذه الحجة، إلى جانب أن نوع الهدايا المقدمة إلى ملوك آشور، من ملوك سبأ، هي من صنف الثروات التي اشتهرت بها بلاد العرب الجنوبية (الأحجار الكريمة والبخور)، أما الدليل الأقوى في دحض هذه الحجة فيتمثل في النقوش السبئية المكتشفة في جنوب الجزيرة العربية (بلاد سبأ)، إذ جاء اسما هذين الملكين (يثع أمر) و(كرب ايلو)، في نقشين سبئيين هما: النقش الأول: وهوالموسوم برقم (C.I.H.623)، وجاء فيه اسم يثع أمر بين بن سمه علي ينوف – بن اسمه علي ينوف – مكرب سبأ، حفر فتحة في البلق – جدار السد- كي يسهل السقي)، ويعد هذا النقش من أوائل النقوش التي كشفت للعلماء عن بناة سد مأرب الأوائل، وهما (سمه علي ينوف-اسمه علي ينوف- وابنه يثع أمر)، ولا يجد الباحث

صعوبة في مقابلة اسم هذا الحاكم السبئي الجنوبي (يثع أمر) مع اسم الحاكم السبئي المدون في النصوص الأشورية (اتا أمر)[73] وهنا يقول كريستيان روبان: (.. وبحسب ما ذكرته حوليات خورسباد " النقش الرائع " أن (أتا أمر) هوبكل وضوح النسخة الآشورية للاسم الموجود في اللغة العربية الجنوبية الذي يعرف بـ (يثع أمر) [74] والنقش الثاني هوالموسوم برقم (GL١٠٠٠) ، وعثر عليه في مدينة (مأرب)، بالقرب من معبد المقه، وجاء فيه اسم الملك السبئي (كرب –أيل –وتر –بن- ذمر –علي)، وهوأطول نقش سبئي عثر عليه حتى الآن، وسجل فيه هذا الملك انتصاراته على الأوسانيين، واسمه مطابق تماماً لاسم الملك السبئي المدون في النصوص الآشورية (كرب ايلو). [75]

وهنا وأمام هذه الحقائق العلمية، لم يعد هناك معنى للتشكيك في انتساب هذين الملكين لبلاد سبأ في جنوب بلاد العرب، ومن ثم ترجيح انتساب ملكة سبأ لجنوب بلاد العرب، استناداً إلى هذه الأدلة وإن لم يرد اسمها أو اسم أية امرأة حاكمة في النقوش الجنوبية، ولأن عملية البحث عن النقوش مازالت مستمرة ولم تستكمل بعد.

أما حجة الإطار الزمني للحضارة العربية الجنوبية التي يتعلل بها الفريق المدافع عن انتساب ملكة سبأ لشمال الجزيرة العربية، والمتمثلة في أن الحضارة الجنوبية لا تتعدى القرن الخامس ق.م، بينما المدونات الأشورية التي ذكرت الملكين السبئيين (أتا أمر) و(كرب ايلو)، تعود إلى القرن الثامن ق.م، فقد أضعفتها الاكتشافات الأثرية الجديدة والدراسات العلمية لنتائج هذه الاكتشافات. ولإيضاح هذه المسألة وباختصار، وهي مسألة مشكلة التسلسل الزمني لأحداث الحضارة السبئية، نشير هنا إلى وجود نظريتين سادت الدراسات اليمنية خلال القرن الماضي، وهما: النظرية الأولى: نظرية التسلسل الزمني القصير للأحداث السبئية، التي تتزعمها جاكلين بيرن، وهي نظرية تُعيد أقدم النقوش السبئية إلى القرن الخامس ق.م، ومن ثم إعادة حضارة سبأ إلى فترة القرن الخامس ق.م.[76]

النظرية الثانية: نظرية التسلسل الطويل للأحداث السبئية ويتزعمها (هرمان فون فيسمان)، وهي نظرية تُعيد أقدم النقوش السبئية في جنوب بلاد العرب إلى الربع الأول من القرن السابع ق.م، أي أن الحضارة السبئية في جنوب بلاد العرب تعود إلى هذا التاريخ (فترة حكم الملك السبئي (كرب أيل وتر بن ذمار علي)، صاحب النقش الطويل والمسمى بـ نقش النصر(GL ١٠٠٠))[77].

لقد نتج عن الاكتشافات الأثرية الإيطالية في موقع (الدريب / وادي يلا)- على بعد ٣٠ كم تقريباً إلى الجنوب الشرقي من مأرب (العاصمة السبئية)- حيث قامت

البعثة الايطالية برئاسة (إليسا ندرودي ميجريت) بالتنقيب في هذا الموقع السبئي(مسكن سبئي)، في الفترة (1983-1987).

وعن النتائج المتعلقة بالتاريخ والتسلسل الزمني للحضارة السبئية، إثر الدراسة الحديثة لهذه النتائج، واستخدام (كربون C14-14)، لفحص بعض العينات من الموقع، يقول الدكتور (إليساندرودي ميجريت): (في 27 كانون الثاني / يناير من عام 1989، وصلت نتائج التحاليل المخبرية للكربون C 14-14، التي تم تنفيذها في قسم الفيزياء في جامعة روما، والقيام بتحليل خمس عينات مختارة، مكنت من ربط المعطيات مع النتائج الطبقاتية، وأيضاً مكنت من اعطاء عناصر مهمة، لتحديد الادوار الرئيسة للوجود السكاني في هذا المركز السبئي الكبير – (وادي يلا – الدريب) -، والتواريخ المعطاة لها كماياتي: بالنسبة للحريق الموجود في القسم 1 (85-65 ق.م)، وبالنسبة للحريق الموجود في القسم 10 (825-585 ق.م) . أما التواريخ المعطاة للعينة رقم 3 فهي (1100 ق.م – 795 ق.م)، وللعينة رقم4(1240-830 ق.م)، وللعينة رقم 5 (-920 1395 ق.م).[78] ويقول إليساندرودي ميجريت أنه عبر عن هذه التواريخ بحسب القيم المعيارية معتمدين في ذلك على احدث وسائل مراقبة تاريخ فناء الشجر، وأن هذه التواريخ (الأعوام) تشير إلى زمن فناء الشجر وليس إلى تفحم الخشب.[79]

وحول التوافق بين نتائج التنقيب الذي قامت به البعثة الأمريكية برئاسة (وندل فيليبس)، في موقع (هجر بن حميد) بوادي (بيحان) عام 1950-1951، ونتائج التنقيب في موقع (الدريب) بوادي (يلا)، واستخدامات كربون C14-14، يقول الدكتور إليساندرودي ميجريت: "فهذا التحديد الزمني الذي وصلنا إليه، بعد التنقيبات في (يلا)، لا يتناقض مع نتائج التنقيب الأمريكية التي تمت في موقع (هجربن حميد) بوادي (بيحان)."[80] أما عن تأثير هذه النتائج على المتمسكين بنظرية التاريخ القصير لأحداث الحضارة السبئية (القرن الخامس ق.م) فيقول الدكتور إليساندرودي ميجريت: "فهذه القيم تشكل بوضوح عائقاً جديداً في التمسك بفرضيات المؤرخين واللغويين الذين يدافعون عن التسلسل الزمني القصير للأحداث في جنوب شبه الجزيرة العربية، وتاريخ نشأة الخط السبئي ببداية القرن الخامس ق.م.[81]

لقد ترتب على دراسة هذه العينات واستخدام كربونC14-14، إعادة تاريخ الحضارة السبئية إلى ما قبل القرن العاشر ق.م (العينات رقم 3 و4 و5)، أما النتائج الأولية لدراسة النقوش التي عثر عليها في (يلا)، فيقول بشأنها دي ميجريت: "إن اربعة منها من المفترض تأريخها قبل عام 535 ق.م، بينما الثلاثة الأخرى ستكون أقدم

من سنة 755 ق.م، ويخلص إلى القول بأن النقوش المحززة على قطع الخزف، التي عثر عليها في (يلا- الدريب)، تثبت بأن الخط السبئي هوأكثر قدماً، بعكس ما كان يعتقد به إلى وقتنا الحاضر، وأنه كان منتشراً بكثرة ومستعملاً من قبل جميع الناس، وهذا ما تثبته النقوش التي اكتشفت ضمن سياق منزلي). [82]

وفي ختام دراسته لنتائج التنقيب التي قامت بها البعثة الايطالية التي ترأسها في موقع (الدريب/ يلا)، يقول دي ميجريت:) يبدولنا أن الخط الكلاسيكي الرائع الذي ابتدعه (كرب أيل وتر بن ذمار علي)، هوسابق بعدة أجيال، وقد وجدت نقوش منه لاسيما ضمن النقوش المحفورة في الصخر في موقع مجاور لشعب العقل، فلا يمكن تأريخ هذه النصوص إلا بفترة قصيرة جداً بعد نهاية القرن السابع ق.م، وتعطينا هذه البينة بعض الجزم لمطابقة هوية هذا الحاكم مع (كرب –ايلو) المذكور في النصوص الآشورية، وهذه الفرضية التي كان قد اقترحها خاصة (هرمان فون فيسمان) ولكنها لم تثبت بعد).[83]

ولاشك في أن النتائج العظيمة التي أظهرتها تنقيبات البعثة الإيطالية في (يلا- الدريب)، وما لحقها من دراسة علمية لهذه النتائج، تشكل نقلة نوعية في حقل الدراسات التاريخية لمنطقة جنوب شبه الجزيرة العربية، على الأقل فإننا بعد هذه الدراسة الأولية للنقوش المكتشفة في (يلا - الدريب)، قد وصلنا بتاريخ الحضارة السبئية إلى القرن الثامن ق.م، وتوافق معطيات النقوش السبئية مع معطيات النقوش الآشورية حول الملك السبئي (كرب ايلو)، المذكور في النقوش السبئية، ومن ثم ربط هذا الملك بحضارة سبأ في جنوب بلاد العرب. إن هذه النتائج المهمة تعطينا أملاً كبيراً في أن تنقيبات أثرية جديدة سوف تكشف لنا عن الغموض والملابسات التي رافقت تاريخ الحضارة اليمنية القديمة، وجعلت البعض من العلماء والمؤرخين أمثال هذه العالمة الجليلة (جاكليل بيرن)- التي اسهمت بدراساتها القيمة في تقدم الدراسات بشأن الحضارة اليمنية وكرست حياتها لخدمة هذه الحضارة – يعتقدون أن هذه الحضارة لا تتعدى القرن الخامس ق.م وانطلاقا من ذلك بنى البعض أمثال (هومل) – وهوالآخر له إسهامات جليلة في دراسة الحضارة اليمنية - آراءهم، ورأوا أن قوم سبأ كانوا يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية في الفترة التي سبقت القرن الخامس ق.م، ثم انتقلوا بحضارتهم إلى الجنوب، واعتقدوا بناء على تلك الفرضيات أن ملكة سبأ التي عاصرت الملك سليمان عليه السلام في فترة القرن العاشر ق.م، لا تنتمي إلى حضارة جنوب الجزيرة العربية، بل إلى شمالها.

الخاتمة:

لقد تناولنا في هذه الدراسة المعلومات عن ملكة سبأ وقومها في المصادر، وبتركيز على القرآن الكريم والنقوش والآثار، يدفعنا في ذلك، الإسهام مع من سبقنا من علماء ومؤرخين، للوصول إلى إجابة مقنعة، حول موطن ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم والتوراة، وهل هو شمال الجزيرة العربية كما ذهب إلى ذلك فريق من العلماء والباحثين منهم، مونتغمري وهومل وأوليري وغيرهم أوجنوبها حسب اعتقاد فريق آخر منهم مولّروجلاسر وفنكلر ومايروموسل. وهنا وبعد تناولنا لاطروحات الفريقين ودراسة الأدلة المتوافرة في هذه المصادر مع ما استجد من دراسات وأبحاث حول الحضارة اليمنية القديمة، فقد أمكننا البحث من الجزم بأن ملكة سبأ المذكورة في القرآن الكريم والتوراة، التي عاصرت الملك سليمان عليه السلام، كانت تعيش وقومها في جنوب شبه الجزيرة العربية في حاضرتها (مأرب)، وقد تبين لنا ذلك بمقارنة الأدلة القرآنية مع الأدلة النقشية والأثرية، وكان أقوى تلك الأدلة هوسد العِرِم، فقد ثبت لنا أن هذا الدليل القرآني الذي ربطه القرآن الكريم بقوم سبأ ومِلكتهم هوالدليل نفسه الذي ربطته النقوش والآثار المكتشفة بحضارة سبأ في جنوب شبه الجزيرة العربية، ناهيك عن الأدلة الأخرى التي استعرضناها في متن هذا البحث، وبالذات نتائج التنقيبات الايطالية في (يلا / الدريب) التي شكلت دليلاً علمياً آخر يؤكد عودة الحضارة السبئية إلى ما قبل القرن العاشر ق.م، ويسند الأدلة التي استعرضناها في بحثنا. وأرجو أن يكون هذا الجهد العلمي المتواضع إضافة إلى جهود من سبقنا في البحث حول موضوع ملكة سبأ.

والله ولي التوفيق.

الهوامش:

(١) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٦١.

(٢) نفسه، ص ٦٢١.

(٣) التوراة، التكوين، الإصحاح العاشر، آية ٢٨، والإصحاح الخامس والعشرون، آية ٣.

(٤) نفسه، الإصحاح الخامس والعشرون، آية ٢.

(٥) على، جواد، السابق، ص ٢٦١.

(٦) التوراة، ارميا، الإصحاح السادس، آية ٢٠.

(٧) نفسه، حزقيال، الإصحاح السابع والعشرون، آية ٢٢ وما بعدها، والإصحاح الثامن والثلاثون، آية ١٣. وأيوب الإصحاح السادس، آية ١٩. والمزامير،الثاني والسبعون.

(٨) نفسه، يوئيل، الإصحاح الثالث،آية ٨، وجواد علي، السابق، ج٦ ص ١٣٥. وجاك ريكمنس، حضارة اليمن قبل الإسلام ترجمة محمد علي زيد، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد ٢٨، ١٩٨٧، صفحة ١٣٥.
(٩) علي، جواد، السابق، صفحة ٢٦٢.
(١٠) التوراة،الملوك الأول، الإصحاح العاشر، الآيات: ٤،١٠، ١٣، الأخبار، الثاني،الإصحاح ٩، الآيات 1 وما بعدها.
(١١) سورة النمل، الآيات ٢٠-٢٤، وسورة سبأ، الآيات ١٥-١٦.
(١٢) سورة النمل، الآيات ٢٠-٢٤
(١٣) سورة النمل، الاية 22.
(١٤) سورة النمل، الآية ٢٣.
(١٥) سورة النمل، الآية ٢٣.
(١٦) سورة النمل، الآية ٢٣.
(١٧) سورة النمل، أية ٢٤
(١٨) سورة سبأ، الآيات ١٥-١٦.
(١٩) سورة سبأ، آية 15.
(٢٠) سورة سبأ، آية 16.
(٢١) سورة سبأ، آية 16.
(٢٢) سورة سبأ، آية 16.
(٢٣) النقش C.I.H540.
(٢٤) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج4، دار الفكر، بيروت، د.ت، ص132.
(٢٥) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج19، مؤسسة التاريخ، بيروت 2000م، ص 245.
(٢٦) الشوكاني، السابق، ج 4، ص 320.
(٢٧) ابن عاشور، السابق، ج22، ص34.
(٢٨) نفسه.
(٢٩) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج٦، تحقيق الشنقيطي، مطبعة دار الساعدة، مصر ١٩٦٦ ص، ١٤٢.
(٣٠) النقوش، 671 جام،540، C.I.H541 وسورة سبأ،آية ١٦.
(٣١) الشوكاني، السابق، ج4، ص320.
(٣٢) ابن عاشور، السابق، ج22، ص 34.
(٣٣) الهمداني، أبومحمد الحسن بن أحمد،الإكليل، ج٨، تحقيق نبيه أمين فارس، دار العودة، بيروت، د. ت، ص ٤٣.
(٣٤) نفسه، ص ٤٦.
(٣٥) سورة النمل،الايات23،٢٢.
(٣٦) الشوكاني، السابق، ج4، ص ١٣٣. والقرطبي، أبو عبدالله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، م13، 1952، ص 180 – 181.

(٣٧) الشوكاني، السابق، ج4، ص 133. والطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج9، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1997.
(٣٨) سورة النمل،الآية ٢٧.
(٣٩) التوراة، الإصحاح الأول، آية ٢٠، وأيوب، الإصحاح السادس، آية ١٩.
(٤٠) الهمداني، السابق، ص ٤٧.
(٤١) نفسه، ص ٤٨.
(٤٢) نفسه.
(٤٣) نفسه.
(٤٤) فخري أحمد، رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة، هنري رياض ويوسف محمد عبدالله، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء ١٩٨٨، ص ١٥٦.
(٤٥) عنان، زيد بن علي، تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٩٦هـ، ص ١١٤.
(٤٦) عبدالله، يوسف محمد، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره (بحوث ومقالات،٣ أجزاء)، ج٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٠٣.
(٤٧) كناكيس، رودو، الحياة العامة للدول العربية الجنوبية، أحد موضوعات كتاب التاريخ العربي القديم، ديتلف نلسن وآخرون، ترجمة فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ١١٣-١١٤.
(٤٨) شيبمان، كلاوس، تاريخ الممالك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة فاروق اسماعيل،مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء،٢٠٠٢، ص ١١٩.
(٤٩) زيادة، نقولا، دليل البحر الارثري، كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، ١٩٨٤، ص ٢٦٥ (ترجمة الفصل ٢١).
(٥٠) سورة النمل، آية ٢٣.
(٥١) سورة النمل، الآيات ٢٩-٣٤.
(٥٢) الشوكاني، السابق، ج4، ص133.
(٥٣) النقوش، R.E.S.395- C.I.H601.
(٥٤) النقش GL. 1606.
(٥٥) كناكيس، رودو، السابق، ص ١٣٢ وما بعدها.
(٥٦) سورة النمل، آية ٢٤.
(٥٧) النقوش إ ٤ وإ ٢، C.I.H. 492، وجام ٨٥٣.
(٥٨) النقش إ١٤.
(٥٩) الهمداني، السابق، ص٦٦.
(٦٠) ابن دريد، ابوبكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، بغداد،1979، ج ٢، ص ٣١١.
(٦١) نفسه، ص ٣١١.
(٦٢) الحميري، نشوان بن سعيد، منتخبات في أخبار اليمن، تحقيق عظيم الدين أحمد، مطبعة بريل، ليدن ١٩١٦، ص ٨.
(٦٣) نفسه، ص9 و101.
(٦٤) نفسه، ص 109-110.

(٦٥) الهمداني. السابق، ص 204.
(٦٦) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر، مؤسسة جمـال للطباعة والنشر، بيروت، ج2، ص 52.
(٦٧) علي، جواد، السابق، ص 259 وما بعدها.
(٦٨) نفسه، ص 260.
(٦٩) نفسه، ص 260 -261.
(٧٠) صالح، عبدالعزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الانجلوالمصرية، القاهر، 1997، ص 40-41.
(٧١) نفسه، ص 125.
(٧٢) إلساندرودي ميجريت وكريستيان روبان، التنقيبات الإيطالية في (يلا)، ترجمة منير عربش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، السابق، ص 40-45.
(٧٣) صالح، عبدالعزيز، السابق، ص 40-45.
(٧٤) النقش C.I.H 623، وأحمد فخري، السابق، ص 94-96.
(٧٥) إليساندور دي ميجريت وكريستيان روبان، السابق ص 8.
(٧٦) النقش GL 1000، وأحمد فخري، السابق، ص 67-68.
(٧٧) للمزيد من التفصيل حول هذه النظرية، يمكن العودة إلى كتاب، إليساندرودي ميجريت وكريستيان روبان، السابق، ص 3 وما بعدها.
(٧٨) نفسه، ص 23-24.
(٧٩) نفسه، ص 25.
(٨٠) نفسه، ص 32.
(٨١) نفسه، ص 34.
(٨٢) نفسه، ص 35-36.
(٨٣) نفسه، ص 35-36.

مصادر ومراجع البحث:

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس (التوراة) 1963، القاهرة.
- إليساندرودي ميجريت وكريستيان روبان، 1999: التنقيبات الإيطالية في (يلا)، ترجمة منير عربش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء.
- بيستون، الفريد، وآخرون، 1982: المعجم السبئي، دار نشر بيترز (لوفان الجديدة)، بيروت.
- الحموي، ياقوت، 1966: معجم البلدان، تحقيق، الشنقيطي، مطبعة، دار السعادة، مصر.
- الحميري، نشوان بن سعيد، 1916: منتخبات في اخبار اليمن، تحقيق عظيم الدين أحمد، مطبعة، بريل، ليدن.
- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، 1979: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.
- ريكمانز، جاك، 1987: حضارة اليمن قبل الإسلام، ترجمة، محمد علي زيد، مجلة دراسات يمنية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، العدد 28.

- ابن دريد، أبوبكر محمد بن الحسن، 1979: كتاب الاشتقاق، بغداد.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ج٤، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- شيبمان، كلاوس، 2002: تاريخ المماليك القديمة في جنوب الجزيرة العربية، ترجمة، فاروق اسماعيل، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.
- صالح، عبدالعزيز، 1997: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ١٩٩٧: جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، ٢٠٠٠: التحرير والتنوير، ج١٩، مؤسسة التاريخ، بيروت.
- عبدالله، عبدالقادر محمود وآخرون، 1979: مصادر تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام (دراسات تاريخ الجزيرة العربية) جامعة الرياض، مطابع الملك سعود،الرياض.
- علي، جواد، 1969: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت.
- عنان، زيد بن علي، 1396 هـ: تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية، مصر.
- فخري،أحمد،1988: رحلة أثرية إلى اليمن، ترجمة هنري رياض ويوسف محمد عبدالله، وزارة الثقافة والإعلام، صنعاء.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد الأنصاري، ١٩٥٢: الجامع لأحكام القرآن، م١٣، د.م.
- نلسن، ديتاف، وآخرون، 1958: التاريخ العربي القديم، ترجمة، فؤاد حسنين علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الهمداني، أبومحمد الحسن بن أحمد، د.ت: الإكليل، تحقيق نبيه أمين فارس، دار العـودة، بيروت.

المراجع باللغة الاجنبية:

- Corus Inscriptionum Semitic arum, pars quarta, Inscrptones Himyariticas et Sabaeas Continens, 3. Bde. Paris, 1889, 1911, 1929.
- Repertoire d'Epigraphie Semitique. (R.E.S) paris, 1929.

المختصرات:

إ = إرياني.

GL = جلاسر.

د.ت = دون تاريخ.

C.I.H= كوربوس (مدونة النقوش السامية).

R.E.S = ريبرت وار (مدونة النقوش السامية).